

دعوة مفتوحة للمسلمين

<"xml encoding="UTF-8?">



من المشهور في تاريخ الإسلام وإلى اليوم أنّ الشعية هم الذين تحمّلوا مسؤولية إحياء ذكرى موقعة كربلاء التي نتج عنها إستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) والصفوة من أهل بيته وأصحابه المخلصين في مواجهة الحكم الأموي المتمثّل يومها بيزيد بن معاوية الذي فرضه أبوه خليفة على الأمة الإسلامية وأراد لها أن تنصاع وترضخ لذلك الإختيار.

وهذا الأمر أدّى عبر العصور إلى أن تبدو "كربلاء" وكأنّها قضية مذهبية تخصّ القسم المعلوم من الأمة الإسلامية، وكأنّ المسلمين الآخرين لا ارتباط لهم بها من قريبٍ أو بعيد، فنتج عن كلّ ذلك تحجيم الثورة وتقليص دورها وتأثيراتها إلى الحدود المذهبية الشيعية فقط.

إنّ كلّ هذا الجو يدفعنا إلى التساؤل وبحق: (لماذا لا يتفاعل المسلمون الآخرون مع عاشوراء؟ ولماذا لا يعتبرونها من القضايا الأساسية في حياتهم؟).

ونحن هنا، لا نريد أن نحمل إختوتنا من أبناء المذاهب الإسلامية الأخرى مسؤولية في هذا المجال، وإنّما نريد أن نفهم الأسباب التي أدّت إلى محاصرة الثورة الحسينية وإظهارها على أنّها ثورة مذهبية وليست الثورة الإسلامية عامّة، مع أنّ كلّ من يرجع إلى تاريخ تلك المعركة وينظر في أسبابها وشعاراتها والأهداف التي كانت مأمولة منها لا يرى أثراً أو دليلاً على مذهبية الثورة أو اختصاصها بقسمٍ محدودٍ من المسلمين.

لهذا نقول، إنّ هناك أبعاداً لم تكن تريد الخير للأمة الإسلامية عملت على إيجاد الحواجز والفواصل بين الثورة الحسينية وبين أبناء الإسلام خارج إطار التشييع، ولا نبرئ في هذا المجال الحكم العباسي كلّ من هذه المؤامرة الدنيئة التي استطاعت أن تحقّق الفصل الواضح الذي تراكم عبر القرون حتّى صار هذا الأمر حقيقة واقعة في حياة الأمة كلّها.

والذي يدعونا إلى هذا الإتهام لبني العباس هو أنّهم عندما ثاروا على الحكم الأموي رفعوا شعار "يا لثارات الحسين(عليه السلام)" وتمكّنوا بهذا الشعار من أن يضمّنوا وقوف الأمة إلى جانبهم وانتصروا وأخرجوا الأمويين من الحكم واستلموا الخلافة التي بقيت بأيديهم عدداً من القرون.

من هنا، أدرك العباسيون مقدار التأثير الذي يمكن أن تحقّقه عاشوراء الحسين(عليه السلام) من عوامل النهضة

والثورة ضدّ الحكم الظالم والمنحرف، فعملوا على منع المسلمين من إحياء هذه الواقعة. وتاريخهم مليء بالشواهد على ذلك ومن أبرزها محاولة "المتوكل" محو كل آثار المقام الحسيني. إنّ كل تلك الأجواء بنظرنا هي التي أدّت إلى انحصار التفاعل مع كربلاء من الإطار الإسلامي العام إلى الإطار الشيعي الخاص.

ونحن اليوم نحیی ذكری عاشوراء الحسین (علیه السلام)، وندرک حجم تأثیراتها المعنویة والرسالیة والجهادیة فی حیاتنا، وندرک حجم القوة والإرادة والزخم الإیمانی والفیض الروحی الذی تزوّدنا به تلك الثورة المعطاء، والذی من خلاله استطعنا أن نهزم الكثير من مشاريع الأعداء المستکبرین وعلى رأسهم زعیمة الإستکبار العالمی "أمریکا"، وبالعطاء الكربلائی ذی النکهة الإستشهادیة توصلنا إلى أن نهزم إسرائيل أيضاً ونجبرها على الإنسحاب من جزء کبیر من الأرض الذی احتلتها فی الجنوب اللبانی والبقاع الغربی، ویکفی فی هذا المجال کلمة الإمام الخمينی (قده) الذی قال: (إنّ کلّ ما لدينا هو من عاشوراء) کدلالة على أهمية تلك الثورة الحسینیة فی بعث الروح الرسالیة والجهادیة والمعنویة عند کلّ أبناء الأمة الإسلامیة.

من هنا ندعو کلّ إخوتنا من أبناء المذاهب الإسلامیة الأخری إلى أن يجعلوا من هذه الثورة مورداً لاهتمامهم وأن یحیطوها بالرعاية والعناية كما هو الحال عند الشیعة، لنخرج بتلك الثورة من إطارها المذهبی الضیق الذی حوصرت فیهِ على ید الحکام المنحرفین، إلى إطارها العام الإسلامی، لأنّها الثورة الذی قامت فی مواجهة الظلم الأموی باسم الإسلام وهدفت إلى الإصلاح فی مسيرة الأمة الإسلامیة ولم تكن ثورة شیعیة فی أيّ معنی من معانیها.

إنّ ثورة الحسین (علیه السلام) هی ملک للمسلمین جمیعاً وهي جزء مهم وأساس من تاریخهم الجهادی والرسالی، بل ینبغي أن یكون لها الأولویة على مستوى الإهتمام والرعاية من خلال إحياء مراسمها، لأنّها قامت وما زالت بدور کبیر فی تاریخ الإسلام بشكل عام، وفی التاریخ المعاصر للأمة الإسلامیة بشكل خاص. إنّ هذه الدعوة إلى التفاعل مع الثورة الحسینیة من جانب إخوتنا من أبناء المذاهب الإسلامیة الأخری لا نهدف منها سوى إلى التفاعل مع قضية لمسنا مدى تأثیرها الروحی والمعنوی فی واقعنا الإسلامی العام کلّه، لنتمكن جمیعاً من أن نستلهم من تلك الثورة الخالدة ما یجعلنا أقوىاء فی مواجهة کلّ الأعداء المتربّصین بالأمة من قوى الإستکبار العالمی والأنظمة العمیلة الذی تحکم واقع الأمة الإسلامیة فی أغلب البلدان وتصادر حرّياتنا واستقلالیة قرارنا وتتلاعب بمصائرنا خدمةً للمستکبرین وخوفاً من تنامي هذه الصحوّة الإسلامیة الذی لا شک أنّ تفاعل الأمة مع الثورة الحسینیة سوف یحصّن هذه النهضة ویرفدها بالقوّة الإضافیة والإرادة الثابتة، وتستطیع أن توقّظ المسلمین على مستوى قضایاهم المصیریة الأساسیة والمهمّة.

والحمد لله ربّ العالمین¹.

1. نقلا عن الموقع الرسمي لسماحة الشیخ محمد توفیق المقداد حفظه الله.